المحاضرة 13: الاستراتيجية التصريحية:

يرتبط التصريح بالتّوجيه خاصّة، فهو "الخطاب الموجه إلى المرسل إليه، لحمله على القيام بفعل أو الامتناع عنه[1]، ولا تتعلّق هذه الاستراتيجية بمميزات المرسل إليه بقدر ما تتعلّق بترتيبه في السلّم الاجتماعي، وتنقسم أصناف المرسل عن استعمال هذه الاستراتيجية إلى صنفين:

- الأوّل: المرسل إليه المتخيّل بما له من صورة نمطية في السياق، مما يؤكّد عدم حضوره لحظة إنتاج الخطاب، ومن نماذج توجيه الخطاب في هذا الصّنف الخطابات التي تنصّ على تعليمات التوجيه للمرسل إليه المفترض، انطلاقا من خصائصه معروفة مسبقا من خلال المعرفة المسبقة بخصائص العالم المحيط بطرفي الخطاب مثل التعليمات التي نجدها في الملابس حول غسيلها، أو تعليمات استعمال المراجع في مكتبة عامة، أو تعليمات استعمال المصعد الكهربائي...، فالمرسل يفترض المرسل إليه مسبقا من خلال الشروط المعروفة والمعايير المحسوبة.
- الصنف الثاني: هو المرسل إليه الحاضر لحظة إنتاج الخطاب، فيكون معروفا عن المرسل، وعليه يتراوح استعمال الأدوات والآليات اللغوية بين تلك التي توجه المرسل إليه المتخيل وتلك التي توجه المرسل إليه الحاضر، والسياق الذي يدور فيه الخطاب أضيق من السياق الأوّل، إذ تتداخل فيه سمات الفرد المخاطَي والمعرفة المشتركة بينهما...[2].

ويختلف الصنف الأول عن الثاني كون السياق أوسع إذا كان المرسل غير حاضر وإنما مفترض، انطلاقا من معرفة مشتركة مفترضة، يأتي بصفة عامة على شكل تعليمات نجدها خاصة في كيفية استخدام الأجهزة أو تشغيلها، أو نجدها في الأماكن العامة التي تحدّد قيها المسموحات والممنوعات، أو نجده أيضا في بعض اللافتات في الطّرق التي تطلب من

---

[1] جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط1، 2010، ص 90.

[2] ينظر ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 323- 324.

السائقين الحذر أو عدم استعمال بعض المسارات أو إنارة القناديل...، ومنه فإنّ الأفعال اللّغوية تتفاوت قوتها في التوجيه حسب درجة السلطة عند المرسل وحسب قربه أو ابتعاده عن المرسل إليه، إذ يحكم التفاعل بين طرفي الخطاب الهدف من إنتاجه تبعا لإرادة المرسل، و تشمل الأفعال الإنجازية في الاستراتيجية التوجيهية "كلّ الأفعال الكلامية الدّالة على الطّلب بغضّ النّظر عن صيغتها، وهو أمر أخذ به الأصوليون والفقهاء وعلماء الكلام".[3]

مسوغات استعمال الاستراتيجية التّصريحية:

هناك عدّة عوامل تؤثّر في اختيار الاستراتيجية التصريحية دون الاستراتيجيات الأخرى أهما الرتبة في السلم الاجتماعي، ومنه فإنّ مسوغات استعمال هذه الاستراتيجية هي:

- "عدم التشابه في عدد من السمات مثل: السمة المعرفية، الأستاذ/ التلميذ، الطبيب/ المريض...
- عدم وجود تكرار في الاتصال بين طرفي الخطاب، إذ تنحصر اللقاءات في اللقاءات الرسمية التي يؤطّرها جوّ العمل، وبالتالي فليس هناك عمق في المعرفة الشخصية، فلا تتجاوز المعرفة داخل إطار التعامل الرسمي فقط.
- الشعور بالتفاوت في مستوى التفكير بين طرفي التخاطب، ممّا يؤثّر في فهم كلّ منهما في طبيعة اللآخر، فقد يستعمل المرسل الاستراتيجية التضامنية، بالرغم من سلطته، ولكنّ المرسل إليه قد يفسّر ذلك ضعف من المرسل، ودرأ لهذه التّأويلات المفترضة يجد المرسل استعمال التوجيه ضروريا وأسلم نتيجة.

[3] محمود نحلة، نحو نظرية عربية للأفعال اللغوية، مجلّة الدراسات اللغوية، عدد 1، 1999، ص 196.

- تهميش ما قد يحدثه استعمال هذه الاستراتيجية من أثر عاطفي سلبي على المرسل إليه، فيقصي المرسل هذه التأثيرات على المرسل إليه متجاهلا إيّاها.
- تصحيح العلاقة بين طرفي التخاطب غير المتكافئين في المرتبة وإعادتها إلى سيرتها الأولى، إذا كان التعامل حسب الاستراتيجية التضامنية قد يؤثّر على سير العلاقة بينهما، أو يقلّل من هيبة المرسل أو شأنه بسبب تنازله عن حقّه المكتسب.
- رغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتفاع بمنزلته الذاتية، وقد يتّضح هذا من خطاب المظلوم الذي يطلب من القاضي أو الموظّف منحه حقوقه، بقوله: أنصفني وأعرني سمعك لتسمعني...
- إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل وعلى حصول أقصى مقتضى خطابه".[4]

وتعدّد المسوّغات التي تدفع المرسل إلى اختيار هذه الاستراتيجية وفقا لدواعي السياق وخصائص المرسل إليه والهدف من إنتاج خطابه، فيستعمل الصيغ والآليات والأدوات اللغوية التي توجّه المرسل إليه أو تحذّره أو تنهاه، وهنا تظهر وظيفة اللغة النّدائية والإيعازية التي لا تقتصر على البعد التواصلي والوصفي فقط، وإنّما تتجاوزها إلى جعل المرسل يذعن لتوجيهات وتعليمات المرسل استنادا إلى سلطته المكتسبة في مجتمعه.

الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التصريحية:

أفعال النصح: مثل الحث على عمل ما، والتحذير والإشارة والتوصية والاقتراح والإنذار، ويجعل "باخ" لهذه الأصناف افتراضاتى مسبقة تنحسر في قاعدتي الكم والكيف، فالكم بتقديم المرسل المعلومات الضرورية، والكيف يكون المطلوب ممكنا وضروريا.[5]

---

[4] ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 329.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 388.

أفعال التوجيه: من أدوات أفعال التوجيه ذكر العواقب والتوجيه بألفاظ المعجم وربط إنجاز الفعل بالوعد والوعيد، مثل: من يسدد الدين يجزيه الله.

التوجيه المركّب: ويكون باستعمال أكثر من أسلوب مثل الأمر والنهي المتضادين في خطاب واحد.

التوجيه بالأمر: وهو صميم الأفعال التوجيهية، وجعله بعض العرب قسنا مستقلا من أقسام الكلام، وهو صيغة تستدعي الاستعلاء ودلالة على توفّر السّلطة.

ومن الأدوات أيضا النهي، والاستفهام الذي يكون القصد منه التوجيه، والتحذير والإغراء والنّداء وكلّ خطاب يتضمن دفع المرسل إليه إلى فعل سلوك معين.